مفهوم التجديد
وحقيقة المجدد في القرآن الكريم

د. عبد الجليل عبد الرحيم علي

الجامعة الأردنية / كلية الشريعة

المقدمة

الحمد لله الذي جعل كتابه الكريم مشكاة أنوار الهداية التي يخرج بها من الظلمات إلى النور، روحا بها يبعث الحياة في القلوب، فتجعلها أوعية لما أودع فيه من العلوم والمعارف، وهدى لما يحمله من الحياة لربانية المحفوفة بالكرم واللطائف.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الذي جدد الله به الدين، فجمع له ميراث كل النبيين والمرسلين، وأقامه سراجاً منيراً يجدد المؤمنون به نهار الهداية في كل لمحة وحين.

صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه والأئمة المجددين، كلما توالى الجديدان على مر الأيام والسنين.

أما بعد:

فإن النظرة الفاحصة في واقع المسلمين، وخصوصاً أهل الذكر والفكر منهم، توجب عليهم محاسبة أنفسهم، وتقويم أعمالهم وسعيهم، ليقفوا على مدى ما حققوه من نجاح في تبليغ رسالة ربهم، وأداء الأمانات التي أنيطت بهم لأمتهم والناس كافة، وما هي الثمار التي جنوها، والعقبات التي واجهوها، والأمة التي كونوها والصفوف التي وحدوها، وبذور الخير التي زرعوها والمظالم التي رفعوها عن كاهل المضطهدين في الأرض، المحرومين من أبسط حقوق الإنسانية.

كل هذا من صلب رسالتهم وهم مكلفون به، حملوه على كاهلهم حين اختاروا أن يكونوا دعاة الله، وحملة لرسالة السماء، وهم بين يدي الله موقوفون، وعن كل ذلك سيسألون، وقد أحضرت كل هذه الأنفس البريئة ثائرة في وجوههم مطالبة إياهم بحقوقهم، لائمة لهم على تقصيرهم، حيث لم يغيروا منكراً رأوه بأم

أعينهم، وأخطاراً وشروراً داهمة لِمَ فروا من مواجهتها -وهي بالنسبة لهم كفرار من المعركة يوم الزحف- راضين بالعرض الأدنى عما هو الأعز والأسمى والأكثر خيراً وأبقى.

ألا يوجب هذا عليهم أن يوحدوا صفوفهم ويجمعوا كلمتهم، وتكون لهم رابطة تجمعهم في كل بلدة ومدينة ودولة في ندوات ومؤتمرات جامعة لينظروا في أحوال المسلمين بعامة، وفي واقعهم بخاصة، فإنهم إذا اجتمعت كلمتهم اجتمعت كلمة الأمة، وإن توحدت صفوفهم توحدت الأمة.

وإن هذا الموضوع، من أهم وأخطر الموضوعات وأمسها حاجة للعلماء، بل أنه اللبنة الأولى في كل بناء يقوم على أساس متين، فالتجديد هو الأصل الذي يتم به الإصلاح والتغيير.

فالفكر الذي مبعثه الكتاب والسنة، يكمن في طيا ته الخير للامة وللإنسانية جميعاً، فهو يوحد الصف، ويجمع الكلمة، ويؤلف بين القلوب ثم أنه سبب في تكوين المودة والمحبة، وكل خير وفضيلة وبر ودعا إليه الكتاب العزيز وأرشدت إليه السنة المطهرة.

أما حينما نجد الواقع على خلاف من هذا، بحيث أدى الى الاختلاف والانقسام والتنافر والتباغض والتحاسد، بل جر إلى ما هو أكثر من ذلك النزاع والاقتتال والتناحر، فلابد أن يكون قد داخله فكر ليس من فكره، وآراء ليست من رأيه، فواجب العلماء عند ذلك أن يجتمعوا ليعملوا على تجديد الفكر الذي هو إحقاق الحق وإبطال الباطل الذي سنتبينه من خلال هذا البحث المتواضع إن شاء الله ﷻ.

وقد رأيت أن أبدأ بتحديد مفهوم التجديد من خلال المعاني اللغوية واستعمالاتها في القرآن الكريم، من أجل الوصول إلى المعنى الحق الذي ينبغي أن يحمله هذا المصطلح.

ثم ألفِتْ النظرَ إلى بعض ميادين الفكر الديني الذي هو في حاجة ماسة إلى التجديد.

ثم اكشف عن حقيقة المجدد الذي إن وجد وتحققت صفاته وجب على كل العلماء أن يلتفُّوا حوله، ويسترشدوا بهديه، ويقتبسوا من نوره إذا أرادوا أن يكونوا من المجددين لهذا الدين، والله ولي التوفيق.

مفهوم كلمة التجديد

يقال في اللغة: "جد يجد جدة فهو جديد، خلاف قدم، فهو قديم"[١].

قال الراغب: ((ثوب جديد: اصله المقطوع، ثم جعل لكل ما احدث انشاؤه، وقوبل الجديد بالخلق لما كان المقطوع بالجديد القريب العهد بالقطع من الثوب))[٢].

وفي المعجم الوسيط: ((جدد الشيء: صيره جديداً، ويقال: جدد العهد، وثوباً لبسه جديداً. تجدد الشيء: صار جديداً، استجد الشيء: استحدثه

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم مجمع اللغة العربية ج/ ص١٩٣ الهيئة العامة للتأليف والنشر الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.

(٢) الأصفهاني: الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ) المفردات ص٨٨ تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى الحلبي.

وصيره جديداً))[١].

مما سبق يتبين لنا أن المعنى الحسي لكلمة تجديد، تدل على التبديل والتعديل في الشيء لتحسين أدائه، ليعد بذلك إلى حالته الأولى التي صنع عليها، وكان فيها على درجة عالية من الكفاءة، وهذا هو المقصود من تجديد آلالات والمعدات بكافة أنواعها وأجناسها، أما أن يكون التجديد قاصرا على الأدلة ودورانها بدون ثمرة ترجى فهو من العبث الموقع في الخسارة، وضياع راس المال، ثم اتسع معنى هذا اللفظ ليشكل كل ما ستحدث واوجد. ومن هنا اطلق الجديد في القرآن الكريم على الخلق المستحدث.

قال تعالى ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[٢].

وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[٣].

فتجديد الخلق الذي تضمنته الآية الأولى، هو عبارة عن إعادتهم إلى الحياة بعدما تحللت أجسادهم وبليت عظامهم على ما كانوا عليه من القوة والنشاط في الحياة الدنيا.

أما تجديد الخلق في الآية الثانية فإنه يحمل معنى إضافيا؛ وهو تغيير العادات والصفات، وهذا ما اشارت اليه كتب التفسير، وتحمل معناه العديد من الآيات.

---

(١) ابراهيم مصطفى واخرون المعجم الوسيط ج١ ص١٠٩ اشرف على طبعه عبد السلام هارون مطبعة مصر ١٣٨١هـ- ١٩٦١م.

(٢) سورة ق آية ١٥.

(٣) سورة فاطر آية ١٥-١٧.

قال الطبري: ((ويأت بخلق سواكم يطيعونه، ويأتمرون لأمره، وينتهون عما نهاهم عنه))[١].

وقال القرطبي: ((بخلق جديد افضل واطوع منكم، إذ لو كانوا من الاولين فلا فائدة من الابدال))[٢].

وفي زاد المسير عن ابن عباسﷺ: ((يميتكم يا معشر الكفار، ويخلق قوما خيرا منكم وأطوع))[٣].

وهذا هو ما تضمنته آيات الوعيد لحملة الرسالة يتقاعسون عن القيام بواجب ما تمليه عليهم من محاربة الظلم وكسر أهل الباطل الطامعين فيهم والمعتدين عليهم.

قال ﷻ: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[٤].

---

(١) الطبري: محمد بن جرير بن يزيد (٣١٠هـ) تفسير الطبري جامع البيان ج ٢٢ ص١٢٧ دار الفكر بيروت ١٤٠هـ.

(٢) القرطبي: محمد بن أحمد بن ابي بكر (٦٧١هـ) أحكام القرآن ج٩ ص٣٥٤ تحقيق أحمد بن عبد العليم دار الشعب القاهرة الطبعة الثالثة ١٣٧٢هـ.

(٣) الجوزي: عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ) زاد المسير ج٤ ص٣٥٥ المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ س.

(٤) سورة محمد آية ٣٨.

وقال ﷻ: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٢).

ومن هنا يتبين كلمة التجديد تحمل معاني عميقة ودلالات واسعة في المجالات الحسية والمعنوية، ولكنها لما اضيفت الى الفكر اختصت بالنواحي المعنوية، فتجديد الفكر الديني: بعثه من جديد بعد تجريد الذات من كل ما علق بها من الأفكار الداخلية، وما شابها من العلل والترعات، والاوهام والخرافات، فأن الفكر الديني هو الفكر النابع من صميم الدين كما هو عليه الدين عند رسول الله ﷺ، وورثته من الخلفاء الراشدين، وأئمة الهدى من العلماء العاملين، وأولياء الله المتقين.

أما تجديد الفكر في الإسلام فهو عبارة عن إعادة النظر فيه بفكر جديد، وهو المثل الأعلى للفكر في النقاء والصفاء والمصداقية في إحقاق الحق، مجرد عن الأهواء والتبعية والعصبية، ليترجم بصدق وإخلاص عن كل ما يحمله الإسلام في طياته من القيم والمعاني ويدعوا إليه من الخير والإصلاح والتسامي.

وبناء على ما سبق يمكن تعريف التجديد بما يأتي:

---

(١) سورة التوبة آية ٣٩.

(٢) سورة المائدة آية ٥٤.

التجديد هو العودة بالشيء المراد تجديده إلى اصله في احسن أحواله وأكمل مزاياه.

أو إحياء ما أندرس منه وشوه لتعود له نضارته ويقوم بدوره على الوجه الأكمل في الحياة.

ميادين التجديد في الفكر الإسلامي

إن الميادين التي يتناولها التجديد في الفكر الديني متعددة الجوانب وواسعة سعة الدين نفسه، فإذا علمنا أن الدين شامل لكل جوانب الحياة الدنيوية والأخروية، أدركنا مدى هذه السعة، وتنوع هذه الجوانب.

فمن ميادين العقيدة إلى العبادات، والمعاملات، والتربية والتعليم، والسياسة، والاقتصاد، والنفس والاجتماع، والعلاقات الدولية في السلم والحرب، والدعوة والدعاة إلى غير ذلك.

وها أنا اعرض لبعض النماذج من هذه الميادين لافتا الأنظار إلى ما يحقق فيه معنى التجديد.

وأول ما أقدمه هو: التجديد في الذات الإنساني، فإنه من أعظم الميادين سعة، وأكثرها عمقاً وصعوبة، بالإضافة إلى أن الإنسان هو العنصر الوحيد الذي تناط به مهمة التجديد. ومرد كل شيء فيها إليه. فإذا لم يهتد الى تجديد ذاته، ويعجز عن هذه المهمة في نفسه أو يقصر فيها، فأنه لتجديد ما سواها اعجز، وسعيه في هذا الميدان يعدو أن يكون ضربا من اللهو واللعب القصد في التسلية لإضاعة الوقت. وملء الفراغ بما يتيسر.

إن أول ما ينبغي أن يعلمه الإنسان الذي يريد تجديد ذاته هو جوهر وحقيقة ذاته ومركزه في الوجود، ومكانته بين الكائنات، وما أسند إليه من المهام والتكاليف الموصلة له الى ذلك. فأذا نظرنا في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف مصدري الفكر الاسلامي ومنبعه الصافي المتجدد تبين لنا ما يأتي:

إن الله ﷻ قد خلق الإنسان في أحسن تقويم صورة وجوهراً، فإنه قد جعله محلا لأقدس روح نفخها في كائن حي، اسجد لها ملائكته من أجل جعله سيد الكائنات، وأناط به وحده مهمة الخلافة عنه في الارض دون المخلوقات جميعا. وخصه بكمال معرفته فيما أنزله عليه من اقدس الرسالات. قال ﷻ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(١).

وقال ﷻ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾(٢).

وقال ﷻ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(٣).

وقال ﷻ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٤).

---

(١) سورة التين آية ٤.

(٢) سورة ص ٧٢، سورة الحجر آية ٢٩.

(٣) الاحزاب: الآية ٧٢.

(٤) سورة الجاثية: آية ١٣.

وفي الحديث القدسي: ((إني خلقت عبادي جميعهم حنفاء))[١].

وفي الحديث النبوي: روى البخاري ومسلم بسنديهما عن ابي هريرة أنه كان يقول قال رسول الله ﷺ: ((ما مولود إلا يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه))[٢].

يدرك المتدبر في الآية السابقة أن جوهر الأمانة التي حملها الله أول إنسان خلقه وكرمه هي الروح الإلهية التي نفخها فيه فصارت بها ذروة في العلم والمعرفة والنزاهة والعدالة، وبها جعل خليفته في الأرض، حيث تمت له الأهلية بعد إن لم يكن شيء يذكر.

وهذه الروح الخاصة بما أودع الله فيها هي الثمرة التي يكافئ بها كل من جدد إيمانه وإسلامه وإحسانه، ليكون بدوره من حملة الأمانة، وورثة الرسالة،

وهذا جلي واضح في قوله ﷻ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

---

(١) القشري: مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٠٦-٢٦١هـ) صحيح مسلم ج٤ ص٢١٩٧ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار أحياء التراث بيروت.

(٢) سورة التين آية ٤.

(٣) سورة المجادلة آية ٢٢.

فتجديد الذات تطهيرها من كل ما علق بها من الشوائب وما غشيها من الظلمات والعودة بها الى الفطرة الاصلية والخلقة الربانية، بالاتباع الصحيح للصراط المستقيم الموصل قطعاً كل من سلكه لهذا الميراث العظيم والكنز الدفين.

تجديد الفكر في ميادين العبادة:

إن لفظ العبادة شامل لكل الميادين -إذا استعملنا اللفظ بمعنى الطاعة لله ورسوله وامتثال الأمر الإلهي- في كل ما تعبدنا به الله ورسوله.

وتجديد العبادة فينا:

العودة بها إلى الأصل الذي شرعت من أجله، وأداؤها على الكيفية التي أمرنا الله بها، وتمثلها من جعله الله أسوة لنا، واقتدى به فيها ورثته من العلماء الأتقياء والأولياء.

فالعبادة بوجه عام كما تكشف آيات هي حقيقة الصراط المستقيم الموصل إلى أعلى الدرجات وأرفع المقامات عند رب العالمين.

قال ﷻ: ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[١].

وكيفية العبادة المثلى تكون في مرتبة الاحسان المتحققة في شخص النبي ﷺ وعلى آله الأطهار وصحبه العظام. قال ﷺ لجبريل عليه السلام حين سأله ما الاحسان؟: "الحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[٢].

---

(١) سورة يس آية ٦١.

(٢) البخاري. صحيح البخاري ج١ ص٢٧.

وقد روي عن عبد الله بن عمر قوله: "إنا كنا نتراءى الله ﷻ في الطواف بين أعيننا"[١].

هكذا كانوا متحققين في عبادتهم، صادقين في معاملاتهم، لا تأخذهم في الحق لومة لائم في تبليغ رسالات ربهم.

ومن خلال نظرة سريعة في العبادات وإيراد بعض التساؤلات يمكن أن ألقي الضوء على معنى التجديد فيها، فأقول وبالله التوفيق:

الصلاة هي أهم ركن في دين الإسلام، هل أحدثت صلة لنا بالله أقوى من أي صلة لنا بأحب شيء عندنا، حتى من أنفسنا؟ وهل شعرنا بأن الله أقرب إلينا من كل قريب منا؟ وهل تشرق علينا أنوار الهداية فتغسلنا من أدراننا، وتخرجنا من ظلمات أنفسنا وأهوائنا؟ وتقطع دابر الوساوس الشيطانية من قلوبنا؟ هل نهتنا عن الفحشاء والمنكر؟ فإن هذه هي أهم حقائقها واشرف مقاصدها التي شرعت من أجلها!

قال ﷻ: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾[٢].

قال ﷺ: ((ن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعاء))[٣].

---

(١) الترمذي الكبير: محمد بن علي بن الحسين: نوادر الأصول في أحاديث الرسول، ج١ ص٥/.تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

(٢) سورة العلق آية ١٩.

(٣) البستي: محمد بن حيان بن أحمد (ت ٣٤٥هـ) صحيح ابن حيان ج٥ ص٢٤٥ تحقيق شعيب الارنؤوط الطبعة الثانية ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

وقال ﷺ: ((.....والصلاة نور...))[١].

وقال ﷺ: ((من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً))[٢].

أما بالنسبة للزكاة فلنا أن نتساءل:

هل حققت التكافل الاجتماعي؟ وخففت من حدة الفقر والمعاناة؟.

هل طهرت النفوس وزكتها؟ مع أن هذه رسالتها. أو ذهب بها الرياء؟

قال ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

بالنسبة للصوم تقول:

هل هذب النفوس؟ وحقق التسامح؟ والصبر على الاذى؟ والاحسان لمن اساء هل أورث الصيام مراقبة الله والخشية منه؟ هل أبلغنا حقيقة التقوى؟ هل حد من الشهوات، وتحكم الاهواء والعادات؟ هل حرر النفوس من أسر العادة، والمادة، والشح، والبخل؟ والله ﷻ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٤].

---

(١) السابق ج٣ ص١٢٤.

(٢) البراني. سليمان بن أحمد (٣٦٠هـ) المعجم الكبير ج١١ ص٥٤ تحقيق حمدي بن عبد المجيد مكتبة العلوم والحكم الموصل الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ-١٩٨٣.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٣.

(٤) سورة البقرة آية ١٠٣.

وتقول بالنسبة للحج: هل جمع ولاة أمر الأمة الإسلامية؟ وجعلوا منه أهم قمة إسلامية في أقدس بقعة، بأتم تجرد، يعدون فيه العدة لإعلاء كلمة الله، ونصرة دينه، ويتصدون فيه للظالمين ويرفعون الأصر والمعاناة عن المضطهدين، ويعلنون عن ولائهم لرب العالمين؟

والله ﷻ يقول: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾(١).

وهكذا يمكن أن نقول في ميدان التربية والتعليم بكل مؤسساته، ومدارسه، وجامعاته، هل أحدث في بنائها معرفة الله؟ وزادنا خشية من الله؟ أو زادنا بعدا عنه وأحدث ردة عن دين الله؟ هل كان سببا في رفعة أمتنا فوق كل الأمم؟ والتقدم عليها في كل الميادين؟ هل حققت به العزة والقوة والمنعة والسيادة في الأرض التي انتدبت للخلافة فيها، كما كان هو الشأن في أول امرها وعهدها بالاسلام؟ هل حقق لنا جمع الكلمة والصف؟ أو أحدث فينا الفرقة والضعف ؟ هل حررت أمتنا من ذل العبودية لغير الله؟ وأخرجنا من دائرة الولاء والتبعية لأعداء الله؟ وأين هي العدالة التي أحدثها ؟ والله جل جلاله يقول: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾(٢).

وقال ﷻ: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾(٣).

---

(١) سورة الحج آية ٢٨.

(٢) سورة فاطر آية ٢٨.

(٣) سورة المجادلة آية ١١.

الظاهر أننا معشر أمة الإسلام لم نجن علمنا غير الفرقة والانقسام والحسد والبغضاء، فنراه قد ضيع الدنيا كما اضاعت الدين.

وليس حال التربية بأكثر من حال العلم، فأين هي الفضائل والكمالات؟ وأين هم أمثال من تخرجوا من مدرسة القرآن الكريم على يد نبي الإسلام ﷺ.

حقيقية المجدد:

الأصل في هذا البحث حديث النبيﷺ أنه قال: "إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الامة أمر دينها"[(١)].

وقد أثار هذا الموضوع العديد من التساؤلات في أذهان العامة والخاصة من المسلمين. من ذلك: ما وجه الحاجة الى المجدد مع وجود الكتاب والسنة؟ وما هي حقيقته؟ ومن هم الذين على رأس المئين السابقة؟

أقول بالله التوفيق:

أن الحاجة الى المجدد في أمر الدين تظل قائمة ما دام في المسلمين أنقسام واختلاف، وبعد عن جادة الاستقامة، خصوصا إذا استحكمت الاهواء، وافتتن الناس بحب الدنيا، وظهر التنافس عليها، ووصل ذلك الى علماء الدين حيث يتمكن من قلوبهم حب الجاه والرئاسة، وتعظيم أهل الدنيا، والخشية من ذوي السلطان، فتكون المجاراة على حساب الدين، سيما إذا ضعفت التقوى وقل الورع، فصار السكوت عن المنكر عادة. ولم يعد هناك اهتمام بالدين، واعداد الائمة المصلحين، فيقل العلماء، ويكثر الجهلاء ويكون ذلك سببا في الظلال والفساد.

---

(١) النيسابوري. محمد بن عبد الله (٣٢١-٤٠٥هـ) المستدرك على الصحيحين ج٤ ص٥٦٨ تحقيق مصطفى عطا دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

وقد نبه النبيﷺ الى ذلك:

عن أبي أمامة ﷺ عن رسول اللهﷺ قال: "خذوا العلم قبل أن يذهب". قالوا وكيف يذهب العلم يا نبي الله كتاب الله؟ قال: "ثكلتكم أمهاتكم، أو لم تكن التوراة والانجيل في بني اسرائيل، فلم يغنيا عنهم شيئاً. إن ذهاب العلم أن يذهب حملته، أن ذهاب العلم أن يذهب حملته"(١).

عن عبد الله بن عمر ﷺ عن النبيﷺ: "إن الله لا ينزع العلم بعد أن اعطاكموه انتزاعاً ولكن ينتزعه منهن مع قبض العلماء بعلمهم فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون"(٢).

وسكذا إنما يتم غالبا حيث ينشغل الناس بالدنيا، وبالعلوم التي توصلهم اليها، ويقل الاقبال على ورثة العلم الحقيقي، فينتشر الجهل بالله، وتقل اهمية الدين والحاجة اليه في الواقع، حيث لم يعد محكما فيه، وإنما لسائد التشريعات والقوانين الوضعية. وبالتالي يكون الاقبال عليها، لأنهم بها يصلون الى الحكم بين الناس وتفتح لدنيا ابوابها عليهم.

وقد نبه القرآن الكريم على جانب لا يقل خطرا عن هذا في الانحراف بالدين من قبل أهل العلم، وطلبته، وهو ما اشرنا إليه في البداية من تمكن الحسد والعداوة في قلوبهم، وظهور الحمية وحسب الرئاسة بين صفوفهم.

---

(١) صحيح البخاري: الاعتصام بالسنة: باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس، رقم الحديث ٧٣٠٧.

(٢) الدارمي: عبد الله عبد الرحمن أبو محمد (١٨١-٢٥٥هـ) سنن الدارمي ج١ ص٧٠-٧٧ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

قال ﷻ: ﴿وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم﴾[١].

وقال ﷻ: ﴿وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم﴾[٢].

قال أبو السعود في تفسيره: بغيا بينهم: أي حسدا كائنا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة[٣].

وفي موضع أخر: حمية وطلبا للرياسة لا لأن لهم في ذلك شبهة[٤].

عداوة وحسدا لا شك فيه[٥].

ثم أن وجه الاهمية للمجدد تتمثل في أن الدين على حقيقته لا يؤاخذ إلا من ورثته الذين جعلهم محلا للقدوة والتأسي بأفعالهم وأحوالهم، فبدون هذه القوة ومجالسته ومصاحبته والدخول في معيته، والتربية على يديه لا يتم ارث الدين، والتحقق بثماره التي وعد الله بها المتقين.

قال ﷻ: ﴿ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾[٦].

---

(١) سورة الشورى الآية ١٤.

(٢) سورة الجاثية آية ١٧.

(٣) أبو السعود.محمود العمادي (ت ٩٥١هـ) ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ج٢ ص١٨.

(٤) السابق ج٨ ص٢٦.

(٥) السابق ج٨ ص٧١.

(٦) سورة الكهف آية ١٧.

وقال ﷻ: ﴿يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾[١].

أما مسائل الدين وتتبع الاقوال الواردة، وصور الاختلاف القائمة، وابداء وجهات النظر فيها فأن هذا يمكن أن يتم أخذه على ايدي مختصين فيه من غير المسلمين الذين لم يشموا رائحة هذا الدين، ولم نلمس في واقعهم أثراً مما يتركه القرآن الكريم في ابسط المؤمنين به من أهل هذا الدين، ومع هذا فأنك تراهم قد اعتبروا من الصفوة المتميزين، وفي كل مجال من المتقدمين.

وحول هذه الحكمة من بعث المجدد ننقل هذا القول للشيخ محمد ابن ابي حمزة رحمه الله حيث يقول: ((لما كان العلماء والاولياء ورثة الرسل والانبياء، فلا بد من حصول فترات تقع بين العالم والعالم، والولي والولي، فأذا اندرست طريقة الداعي جاء من يجددها. ولما كان يحصل في فترات الانبياء عبادة الاصنام من دون الله، كذلك يقع في فترات الاولياء عادة الأهواء والبدع، وتبديل الافعال بالاقوال، وغير ذلك مما يشهده أرباب القلوب المنيرة))[٢].

أما حقيقة هذا المجدد والخصائص التي تميز بها، فلم أجد ما يسعف في عبارات شراح هذا الحديث الوارد بخصوصه، وغاية ما ذكروه لا يعد أن يكون كلاماً عاماً تناول بيان معاني الفاظه، وصوراً من الاجتهاد في كونه واحداً أو متعدداً، مع اختلاف واسع حول المراد برأس القرن هل هو أوله أو أخره أو كله؟ ومن أي جماعة يكون؟ وباي شيء يتميز؟

---

(١) سورة التوبة آية ١١٩.

(٢) الشعراني، عبد الوهاب بن احمد الطبقات الكبرى ج١ ص١٣٨ دار الفكر العربي القاهرة.

ففي عون المعبود: ((وأنت خبير بأن المتبادر من الحديث إنما هو أن البعث وهو الارسال يكون على رأس القرن، أي أوله. معنى ارسال العالم تأهيله للتصدي لنفع الانام، وانتصابه لنشر الاحكام. وموته على رأس القرن أخذ لا بعث فتدبر))[١].

وفيه أيضاً: ((ثم اعلم ابن الاثير والطيبي وغيرهما زعموا أن المجدد هو الذي انقضت المائة وهو حي معلوم مشهور مشار إليه، فجعلوا حياته وبقاءه بعد انقضاء المائة شرطاً له...وقد قال بعض السادات الاعاظم: أن قيد الرأس اتفاقي، وان المراد: أن الله ﷻ يبعث في كل مائة، سواء ان في اول المائة أو وسطها أو آخرها...))[٢].

وفي فتح الباري قال: ((أنه لا يلزم أن يكون في رأس كل مائة سنة واحد فقط. بل يكون الأمر فيه كما ذكر في الطائفة وهو متجه، فأن اجتماع الصفات المحتاج الى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير. ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد إلا أن يدعي ذلك في عمر بن عبد العزيز، فأنه كان القائم بالامر على رأس المائة الأولى باتصافه بجميع صفات الخير، وتقدمه فيها. ومن ثم اطلق أحمد أنهم كانوا يجملون الحديث عليه))[٣].

وفي كشف الخفاء: ((قال ابن كثير: وقد ادعى كل قوم في امامهم أنه المراد بهذا الحديث، والظاهر والله اعلم أنه يعم جمله العلماء من كل طائفة، وكل صنف

---

(١) أبو الطيب. محمد شمس الحق العظيم ابادي عون المعبود ج١ ص٢٦٣ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية ١٤٤٥هـ.

(٢) السابق ج١١ ص٢٦١.

(٣) العسقلاني. أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ) فتح الباري ج١٣ ص٢٩٥ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ.

من اصناف العلماء من مفسرين ومحدثين وفقهاء ونحاة ولغويين الى غير ذلك من الاصناف))[١].

وقد نبه على أن الأمام السوطي رحمه الله قد نظمهم في قصيدة سماها: تحفة المهتدين باسماء المجددين، ختم بها كتابه ((التنبئة فيم بعثه الله على رأس المائة)) وقد عد نفسه منهم، وبين أن المهدي وعيسى عليهما السلام على رأس المائة العاشرة[٢].

والذي يظهر لي في أمر هذا المجدد أنه رجل يصطفيه الله لحمل الامانة التي حملها رسول اللهﷺ، ويؤيده بالروح التي أيده بها، فيكون علمه من عين علم رسول الله، وخلقه خلقة، وأدبه أدبه، وبصيرته بصيرته، ونوره نوره، فهو بذلك يمثله اصدق تمثيل، ويكون خليفة له حقاً، أوجب النبيﷺ على المؤمنين متابعته، واعتبر أن ما يرشدهم إليه ويحثهم عليه، وما يسنه لهم عين سنته، حيث قال: ((فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضواً عليها بالنواجذ))[٣].

فهم خلفاؤه المجددون في كل عصر أمر هذا الدين.

أما بالنسبة للاصطفاء المورث لعلم الكتاب فالله ﷻ يقول: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾[٤].

---

(١) العجلوني. اسماعيل بن محمد (ت ١١٦٢هـ) كشف الخفا ج١ ص٢٨٣ تحقيق أحمد القلاش مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٥هـ.

(٢) السابق نفس الصحيفة.

(٣) سنن الدارمي ج١ ص٥٧.

(٤) سورة فاطر آية ٣٢.

وقد وصفهم النبيﷺ بإخوانه، واشتاق اليهم وود رؤيتهم، ومعلوم أن هذا الوصف إنما اطلقه على الانبياء السابقين، ولم يحصل أحد على مرتبة الاخوة معه من الصحابة غير ابي بكر الصديق ﷺ، مع ما لعلي بن ابي طالب عليه السلام من قرب النسب منه إلا أنه لم يبلغ رتبة ابي بكر عند النبيﷺ.

أما بالنسبة للنور والبصيرة فأن الاتباع الكامل للنبيﷺ موصل قطعاً لهذا الميراث بنص القرآن الكريم: ﴿قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾[1].

وقد نبه النبيﷺ على حقيقة العلماء بأنهم الذين ورثوا الانبياء. ولا مجال لوارثه شيء منهم بعد موتهم إلا الامانات التي حملهم الله اياها، وروح العلم التي أيدهم بها.

وقد بين الله ﷻ في محكم كتابه الكريم أن ثمرة الطاعة لله والرسول موروثة قطعاً للدخول في كنف معيتهم، ومن دخل في معية نبي نال من مقامة ومن درجته، ومن علمه ومن معرفته، ومن قربه من الله ومن كرامته.

قال ﷻ: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾[2].

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٨.

(٢) سورة النساء آية ٦٩.

ولم تغفل الأحاديث النبوية هذا الجانب حيث دلت على وجود اصناف من علماء هذه الأمة من هم على قلب ابراهيم عليه السلام وحددتهم بالثلاثين والاربعين، فأذا كان صدق اتباع النبي ﷺ موصل هؤلاء الى هذا المقام فأنه من باب أولى موصل لكثير من الاخرين الى مقامات سائر النبيين.

فان ابراهيم عليه السلام أعلى الانبياء مقاماً بعد خاتم الانبياء والمرسلين.

وقد دلت الأحاديث الصحيحة على أن هذه الطائفة بعلمائها واتباعهم لا تزال قائمة في هذه الأمة لا يضرها أمر من خالفها الى قيام الساعة. تبين لنا أن أمر المجدد اعز وجوداً من هؤلاء وأعلى شأناً، وأكثر أهمية، واعظم مسؤولية.

وبالرغم من وجود هؤلاء في الأمة فانها لا تستغني عن وجود المجدد على رأس كل قرن. ذلك أن حال هؤلاء العلماء والاولياء حال الانبياء السابقين في خصوص دعوتهم بأقوامهم، بخلاف خاتم المرسلين في عموم رسالته وشمول رحمته.

ومن هنا يعلم أن المجدد الذي يبعث على رأس كل قرن هو الذي يكون على قلب محمد ﷺ. دلت على ذلك العديد من الاثار، وأقوال الوراث العظام.

فقد أجمعت كلمة العلماء الاعلام الذين تحدثوا عن المجدد أن أخرهم هو المهدي عليه السلام، والاحاديث الواردة في شأنه تدل على أن خلقه خلق النبي ﷺ.

وقد أوجب على الامة أن تأتيه لتتبعه ولو حبوا على الثلج.

من أجل ذلك فقد اطلقت عليه جماعة كبيرة من العلماء لقب خاتم الاولياء.

يقول الوارث المحمدي سيدي علي وفا رحمه الله: ((خاتم الاولياء على قلب خاتم الانبياء، ومن علامته أن يتحقق مواجيد الاولياء كلهم ويختص عنهم بوجوده،

كما حقق خاتم الانبياء مواجيد الانبياء كلهم، واختص عنهم بخصوصيته فافهم))[١].

ولعل الإشارة الى هذا المجدد في قول الصديق ﷺ: ((ارقبوا محمداً في عترته))[٢].

فأن هذا هو ما يفهم من تعليق سيدي علي وفا ﷺ على هذه العبارة حيث قال: ((أي شهدوه بهم، فأن وجدتم منهم ما يشق عليكم فسلموا وارضوا كما لو جاء ذلك منه مواجهة لكم. ثم لا تجدوا في انفسكم حرجاً مما قضوا وسلموا تسليماً، وأن وجدتم منهم ما يعجبكم فاشهدوه منه فيهم، كي لا تحجبوا عنه بهم وتحبونهم دونه، وتنسونه بذكرهم. فما هم في الحقيقة منه إلا كالبشر السوي من الروح المتمثل به، وهل الفرع في الحقيقة غير اصله، وهل ثمرته إلا منه فافهم))[٣].

والذي يظهر مما قدمنا أن المجدد لا يكون إلا من ال البيت، ويشهد لهذا قول الامام أحمد بن حنبل ﷺ: روى في الحديث عن النبيﷺ: ((أن الله يمن على أهل دينه في رأس كل مائة سنة برجل من أهل بيتي يبين لهم أمر دينهم))[٤].

والذي يمكن قوله أن صدق التبعية موصل الى النسبة المحمدية، يشهد لهذا قول النبيﷺ: ((سلمان منا أهل البيت))[٥].

---

(١) الشعراني الطبقات الكبرى ج٢ ص٢٨.

(٢) السابق ج٢ ص٢٩.

(٣) السابق نفس الصحيفة.

(٤) أبو الطيب عون المعبود ج١ ص٢٦١.

(٥) النيسابوري المستدرك على الصحيحين ج٣ ص٦٩٢.

وصاحب هذا الامر لا يخفى أثره ونوره، وشأنه وظهوره، وما يؤيده الله به من الآيات البينات، والحجج القوية، ويمكن له في ارض القلوب الايمانية من المحبة فتتكون على يديه خير أمة تخرج للناس متمثلة أحسن القول واسد العمل، واسلم القلوب وأزكى الاخلاق واجمل السير، عندها افضل العلوم والمعارف، واصوب الفكر.

وكل من كان من هذه الامة فهو مساهم في التجديد على قدر ما اوتي من العزم وناله من المرشد، فأنه ﷻ لا يكلف نفساً إلا ما اتاها.

وصلوات الله وسلامه على صفوة الصفوة، ومسك الختام، سيدنا محمد من شملت رحمته وبركاته كل الانام، وعلى الصحب الاخيار وال البيت الاطهار وورثته الائمة الاعلام، الهداة المهديين، خلفائه الراشدين الذين اناط بهم تجديد الدين، وتنقيته من الدخيل والغريب الذي يلفقه المبطلون، ويكيد به الحاسدون، سعياً لاطفاء نوره،

﴿بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾[1].

جعلنا الله من ورثة علمه، وحملة نوره، وسخرنا لطاعته وحسن عبادته، وأقامنا في محراب الولاء له في كعبة محبته.

والسلام عليكم ورحمة الله.

(١) سورة البروج آية ٢٠-٢٢.